فصل
في غيرة النبيّ ﷺ

ولقد تحلىٰ النّبيُّ ﷺ بخلق الغيرة، بل كان ﷺ أغيـر النّاس، كـيف لا وهو أفضل من وطأ الأرض بقدميه؟، فإنّه ﷺ لما قال سعد بن عبادة: لو رأيتُ رجلاً مع امرأتي لضربته بالسّيف غير مصفح. قال النّبيُّ ﷺ: «**أتعجبون من غيرة سعد؟، والله لأنا أغيرُ منه، واللهُ أغير منّي...**»(١).

وعن عـائشـة رضي الله عنها قـالـت: دخل عليَّ رسـول الله ﷺ وعندي رجل قاعد، فاشتد ذلك عليه، ورأيتُ الغضب في وجهه، قالت: فقلتُ: يا رسول الله، إنّهُ أخي من الرضاعة. قالت: فقال: «**انظرن من إخوتكن**

(١) متفق عليه عن المغيرة بن شعبة.

من الرضاعة؛ فإنّ الرضاعة من المجاعة»(١).

فإنّ هذا الّذي كان عند السيدة عائشة رضي الله عنها كان صحابيًا، وعائشة رضي الله عنها هي الصّدّيقة بنت الصدّيق الّتي قال النّبيُّ ﷺ في حقها - بعد ذكر النساء الكاملات - : «وفضل عائشة علىٰ سائر النّساء كفضل الثريد علىٰ سائر الطعام»(٢).

ومع هذا كله غار النّبيُّ ﷺ وغضب، حتىٰ عُرِفَ الغضب في وجهه، وأبىٰ أن يدخل أحدٌ علىٰ نسائه إلاّ أن يكون محرمًا لهنّ.

فينبغي أن يتأسّىٰ المسلمون بالنّبيّ ﷺ ولا يُدخلوا أحدًا علىٰ نسائهم - حتىٰ ولو كان قريبًا للزوجة - إلاّ أن يكون محرمًا لهن؛ فلقد جاء في

---

(١) رواه مسلم عن عائشة، رقم (١٤٥٥).

(٢) رواه البخاري عن أبي موسىٰ (٣٢٣٠)، ورواه مسلم عن أبي موسىٰ (٢٤١٣).

الحديث الّذي رواه عقبة بن عامر، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إيَّاكُم والدّخول على النّساء**». قالوا: يا رسول الله، أرأيت الحمو؟ قال: «**الحمو الموت**»(١).
أي أنه يفسد العلاقة الزوجية كما يفسد الموت البدن.

وروى البخاري في الأدب المفرد ومسلم في صحيحه أنّ النّبيَّ ﷺ كانَ له حاد حسن الصّوت يُدعىٰ أنجشة، وكان يسوق الإبل بأزواج النّبيّ ﷺ فقال النّبيّ ﷺ له: «**يا أنجشة رويداً سوقك بالقوارير**»(٢)، وفي رواية: «**رفقًا بالقوارير**».

قَال النّوويُ: قَال العُلماء: سَمَّىٰ النِّساء قوارير؛ لضعف عزائمهن، تشبيهًا بقارورة الزجاج لضعفها وإسراع الانكسار إليها، واختلف العلماء في المراد

---

(١) متفق عليه من حديث عقبة بن عامر.

(٢) رواه البخاري عن أنس بن مالك برقم (٥٨٠٩).

بتسميتهن قوارير علىٰ قولين ذكرهما القاضي وغيره، أصحهما عند القاضي وآخرين، وهو الّذي جزم به الهروي وصاحب التحرير وآخرون، أنّ معناه أن أنجشة كان حسن الصوت وكان يحدو بهن، فلم يأمن أن يفتنهن ويقع في قلوبهن حداؤه؛ فأمره بالكفّ عن ذلك، ومن أمثالهم المشهورة: الغناء رقية الزنا.

قال القاضي: هذا أشبه بمقصوده ﷺ قال: وهو الّذي يدلّ عليه كلام أبي قلابة المذكور في هذا الحديث والقول الثّاني: أنّ المراد به الرفق في السير؛ لأن الإبل إذا سمعت الحداء أسرعت في المشي، واستلذته فأزعجت الراكب وأتعبته؛ فنهاه عن ذلك، لأن النساء تضعف عند شدة الحركة، ويخاف ضررهن وسقوطهن.

قال الحافظ ابن حجر: قال الخطابي: كان أنجشة

أسود، وكان في سوقه عنف، فأمره أن يرفق بالمطايا.

وقيل: كان حسن الصوت بالحداء، فكره أن تسمع النساء الحداء؛ فإنّ حسن الصوت يُحرِّكُ النفوس؛ فشبه شعف النساء وسرعة تأثير الصوت فيهن بالقوارير في سرعة الكسر إليها.

وجزم ابن بطال بالأول، وجزم أبو عبيد الهروي ورجح عياض هذا الثاني.

قلت: والراجح عندالبخاري هذا الثاني؛ لذلك أدخل الحديث في باب المعاريض.اهـ.

قلتُ: ولقد روىٰ الحاكم في المستدرك عن أنس قال: كان البراء بن مالك رجلاً حسن الصوت، فكان يرجز لرسول الله في بعض أسفاره، فبينما هو يرجز إذ قارب النساء، فقال رسول الله ﷺ: «إيّاك والقوارير» قال: فأمسك.

قَالَ محمد بن إسحاق: كره رسول الله ﷺ أن تسمع النّساء صوته، قال الحاكم: صحيح الإسناد، وقال الذّهبيُّ: صحيح.

قلت: فهذا يدل دلالة صريحة علىٰ أنّ النّبيّ خشي عليهن الفتنة بالصّوت.

فها هو النّبيُّ ﷺ لم يرضَ لأزواجه أن يستمعن لصوت الحادي مع أنهن أفضل نساء الأمة علىٰ الإطلاق؛ مخافة أن يُؤثر هذا الصوت في قلوبهن.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: دخل النبيُّ ﷺ وعندي مخنث، فسمعته يقول لعبد الله بن أبي أمية: «**أيا عبد الله، أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غداً، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان**»، وقال النَّبيُّ ﷺ: «**لا يدخلن هؤلاء عليكن**»(١).

---

(١) متفق عليه من حديث أم سلمة.

فصل

في بيان أن الغيرة من أخلاق الصحابة

ولقد تخلّق الصّحابة – رضوان الله عليهم – بهذا الخلق وتمسّكوا به شأنه شأن غيره من واجبات الدّين، فلم يكن غريبًا من أحدهم أن يَقْتُلَ أو يُقْتل في سبيل المحافظة علىٰ أهله وعرضه، ولقد تقدّم حديث سعد بن عبادة في ذلك.

روىٰ ابن هشام في السيرة أن امرأة جاءت بجلب لها فباعته بسوق بني قينقاع (إحدىٰ قبائل اليهود) ومالت إلىٰ صائغ يهودي؛ لتشتري منه مصاغًا، فجلست وحوله يهود، فعابوا عليها ستر وجهها، وطالبوها بكشفه، فأبت ذلك حفاظًا علىٰ عفّتها، وصيانة لشرفها من أن تبذل وجهها ينظر إليها غير

محارمها، فما كان من هؤلاء اليهود – عليهم لعنة الله – إلاَّ أن غافلها أحدهم وربط طرف درعها من أسفله بطرف خمارها، فلما قامت انكشفت عورتها فصاحت: واكشفتاه. فسمعها رجل مسلم، فهبّ إليها، فرأىٰ ما بها، فضرب اليهوديّ ضربةً قتله بها، وقام يهود، فاشتدوا علىٰ المسلم، فقتلوه، فمات شهيداً.

وكان ذلك سبباً في وقوع غزوة بني قينقاع، فسار النّبيُّ ﷺ إليهم، وحاصرهم حتىٰ نزلوا علىٰ حكمه، فأجلاهم إلىٰ الشام.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ جلوس، فقال رسول الله ﷺ: «**بينما أنا نائم رأيتني في الجنّة، فإذا امرأة تتوضّأ إلىٰ جانب قصر، فقلت: لمن هذا؟ فقيل: هذا لعمر، فذكرت غيرته،**

فولّيْتُ مدبراً» فبكىٰ عمر وهو في المجلس وقال: أوَعليك أغار يا رسول الله![١].

فها هو عمر بن الخطاب كان شديد الغيرة، وكان له امرأة تشهد صلاة الجماعة في المسجد، فكان عمر يكره ذلك، ويغار عليها، فعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كانت امرأة لعمر تشهد صلاة العشاء والصبح في الجماعة في المسجد فقيل لها: لمَ تخرجين وقد تعلمين أن عمر يكره ذلك ويغار؟ قالت: وما يمنعه أن ينهاني؟ قيل: يمنعه قول رسول الله ﷺ: «لا تمنعوا إماء الله مساجد الله»[٢].

فهذا هو عمر بن الخطاب يغار علىٰ زوجته، وهي من هي؟ صحابية فاضلة، وتخرج لأمر شرعي ولا تخرج إلاّ وهي مرتدية الحجاب، والمسجد ليس بعيداً

(١) رواه البخاري عن أبي هريرة، برقم (٣٠٧٠).
(٢) رواه البخاري من حديث ابن عمر، برقم (٨٥٨).

عن بيت عمر رضي الله عنه ومع ذلك كله غار عليها، ولولا حديث النّبيّ ﷺ لنهاها عن حضور الصلاة في المسجد.

فليت شعري كيف لو رأىٰ زماننا!.

ولقد أشار علىٰ النّبيّ ﷺ أن يحجب نساءه، فقال: يا رسول الله، لو حجبت نساءك، فإنه يدخل عليهن البرّ والفاجر؛ فأنزل الله عز وجل آية الحجاب(١).

وهاهو أبو حذيفة أيضًا كره أن يدخل سالم – وهو مولاه – علىٰ زوجته مع أنها هي التي قامت بتربيته وهو صغير، وكان يدخل قبل بلوغه عليها، فعن عائشة رضي الله عنها: أن سالمًا مولىٰ أبي حذيفة كان مع أبي حذيفة وأهله في بيتهم، فأتت (تعني: ابنة سهيل) النّبي، فقالت: إنّ سالمًا بلغ ما يبلغ الرجال وعقل ما عقلوا، وإنه يدخل علينا، وإنّي أظنُّ أن في

(١) ولا يظن ظان أنّ عمر كان أغير من النّبيّ ﷺ، ولكن النّبيّ ﷺ ما كان يفعل شيئًا إلاّ بوحي من الله عز وجل.

نفس أبي حذيفة من ذلك شيئًا. فقال النَّبيّ ﷺ: «**أرضعيه تحرمي عليه، ويذهب الذي في نفس أبي حذيفة**» فرجعت فقالت: إني قد أرضعته، فذهب الّذي في نفس أبي حذيفة»(١).

وعن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: تزوّجني الزّبير وماله في الأرض من مالٍ ولا مملوك ولا شيء غير ناضح وغير فرسه، فكنت أعلف فرسه وأستقي الماء وأخرز غربه وأعجن، ولم أكن أُحسن أخبز، فكان يخبز لي جارات من الأنصار، وكنّ نسوة صدق، وكنت أنقل النَّوَىٰ من أرض الزّبير الّتي أقطعه رسول الله ﷺ علىٰ رأسي، وهي مني علىٰ ثلثي فرسخ، فجئتُ يومًا والنّوىٰ علىٰ رأسي، فلقيتُ رسول الله ﷺ ومعه نفر من الأنصار فدعاني، ثمّ

(١) رواه مسلم (١٤٣٥)، ومسألة إرضاع الكبير فيها خلاف بين أهل العلم، وتفصيل ذلك يطول ولا يسع المقام لذكره؛ فمن أراده فليراجعه في كتب الفقه.

قال: «إخ، إخ» ليحملني خلفه، فاستحييتُ أن أسير مع الرجال، وذكرتُ الزُّبير وغيرته، وكان أغير النّاس فعرف رسول الله ﷺ أني قد استحييتُ فمضىٰ، فجئتُ الزُّبير فقلتُ: لقيني رسول الله، وعلىٰ رأسي النّوىٰ ومعه نفر من أصحابه فأناخ لأركب فاستحييتُ منه وعرفتُ غيرتك، فقال: والله لحملك النّوىٰ كان أشدّ عليَّ من ركوبك معه. قالت: حتىٰ أرسل إليَّ أبو بكر بعد بخادم تكفيني سياسة الفرس»[1].

فكان الزُّبير بن العوام أيضًا شديد الغيرة علىٰ نسائه، ولمّا تزوّج عاتكة، كانت تخرج إلىٰ الصّلاة فكان يكره ذلك ويغار عليها مع أنها مشهود لها بالفضل والصّلاح، فتخبأ لها ذات يوم ووضع يده

(١) متفق عليه من حديث أسماء.

عليها، فأسرعت راجعة إلىٰ البيت، وسبقها هو فقال: ما الذي أرجعك؟ قالت: كنّا نخرج والناس ناس، أمّا الآن فلا، ولم تخرج بعدها.

فهذه امرأة مشهود لها بالفضل، ودليل ذلك أن تزوجها قبله محمد بن أبي بكر، ثم من بعد محمدٍ عمرُ بن الخطاب، فانظر امرأةً بهذا الصّلاح ومع ذلك يغار أن تخرج إلىٰ المسجد لأداء الصلاة، فكيف لو رأيت يا زبير نساءنا كيف يخرجن، ولماذا يخرجن.

صور من غيرة السلف

وعلىٰ هذا الخلق مضىٰ سلف الأمة، ولم يتنازلوا عنه أو يفرّطوا فيه، حتّىٰ في فترات الضّعف والهوان الّتي مرّت بها الأمة الإسلامية، وحينما احتلّ الصّليبيون بعض بلاد المسلمين في الشام ودام احتلالهم لها قرابة قرنين من الزمان – وهي فترة قد تلقي في بعض النفوس الظّنّ أنهم باقون أبدًا حتىٰ ينزل عيسىٰ عليه السلام في آخر الزمان –.

سجّل المؤرخون في تلك الفترة أنّ المسلمين كانوا ينظرون إلىٰ النّصارىٰ علىٰ أنهم دياييث، يكون الواحد منهم سائرًا مع زوجته في الطّريق، فتلتقي بصديق لها، فيتنحّىٰ الزّوج ليتيح للمرأة أن تتحدث مع صديقها ما شاء من الحديث.

وفي عهد المعتصم كشف الصليبيون عن سوأة امرأة مسلمة، فقالت: وامعتصماه، فسمعها رجل من المسلمين، فقال: والله لأبلّغنّها المعتصم، فدخل عليه وكوب الماء في يده يريد أن يشرب، فقال له: إنّ الصّليبيين كشفوا عن سوأة امرأة مسلمة، فقالت: وامعتصماه. والمعتصم لا يعرف هذه المرأة، ولا يعرف الرجل الّذي حمل إليه الكلمة، ولكنه أخذته الغيرة علىٰ دينه وعلىٰ أعراض المسلمين، فقال للخادم: احتفظ بهذا الماء حتىٰ أجيء، ووضع الكوب علىٰ المنضدة وجرّد الجيش العَرَمْرَم[1]، وفتح عمّوريّة، وهي أقوىٰ مدن الروم في ذلك الوقت، ولقد مدحه أبو تمّام ببائية رائعة رائقة، والّتي مطلعها:

السّيف أصدق إنباءً من الكتب

في حدّه الحدّ بين الجدّ واللعب

(١) العرمرم: الشّديد، وجَيْش عرمرم: كثير.

وأشار إلىٰ استغاثة المرأة بالمعتصم بقوله:

لبيت صوتًا زبطريًا هرقت له

كأس الكرىٰ ورضاب الخرد العرب

وزبطريًا: نسبة إلىٰ زِبَطْرَة، وهي بلد المرأة الّتي قالت: وامعتصماه.

وقد ذكر الحميدي في تاريخه أنه في سنة (٨٨هـ) كانت هناك سفينة عربية قادمة من جزيرة الياقوت ببلاد سيلان، وعليها نساءٌ مسلمات قد مات آباؤهن ولم يبقَ لهنّ راعٍ هناك، فقررن السّفر للإقامة في العراق، ورأىٰ ملك سيلان في ذلك فرصة للتقرب إلىٰ العرب، فوافق علىٰ سفرهنّ، بل حمّل السّفينة أيضًا بهدايا ثمينة إلىٰ الحجّاج والخليفة الوليد بن عبد الملك، وبينما كانت السّفينة في طريقها إلىٰ البصرة مارّة بميناء الديبل ببلاد السّند

خرج قراصنة من السند، واسْتولوا عليها بما فيها فنادت امرأة منهنّ وكانت من بني يربوع: يا حجّاج.

وبلغ الحجاج ذلك فقال: لبّيك.

فأرسل إلىٰ داهر – وهو ملك بلاد السّند – يسأله تخلية النّسوة، فقال: إنما أخذهن لصوص لا أقدر عليهن (وكان كاذبًا في ذلك) فكان ذلك سببًا في أن الحجاج بن يوسف الثّقفيّ أرسل جيشًا لفتح بلاد السند وتخليص هؤلاء النّسوة، ولقد تمّ ذلك ولله الحمد والمنّة، وقتل داهر ملك السّند.

ولقد ورد في كتاب نفح الطّيب أنه جاء في أخبار الحكم بن هشام بن عبد الرحمن الداخل وكان ملك الأندلس سنة (١٨٠ هـ) أنّ العبّاس الشّاعر توجّه إلىٰ الثّغر، فلمّا نزل بوادي الحجارة سمع امرأة تقول: واغوثاه بك يا حكم، لقد أهملتنا حتىٰ تكالب

العدو علينا، فأيَّمنا وأيتمنا، فسألها عن شأنها، فقالت: كنت مقبلة من البادية في رفقة، فخرجت علينا خيل عدو، فقتلت وأسرت؛ فصنع قصيدته الّتي مطلعها:

تململت في وادي الحجارة مسئدا
أراعي نجومًا ما يرون تغيرا
إليك أبا العاصي نضت مطيتي
تسير بهم ساديًا ومُهَجّرا
تدارك نساء العالمين بنصرة
فإنّك أحرىٰ أن تغيث وتنصرا

فلما دخل عليه أنشده القصيدة، ووصف له خوف الثغر، واستصراخ المرأة باسمه، فأنف ونادى في الحين بالجهاد والاستعداد، فخرج بعد ثلاث إلىٰ

obeikandi.com

وادي الحجارة ومعه الشّاعر وسأل عن الخيل الّتي أغارت من أي أرض العدو كانت، فأعلم بذلك، فغزا تلك الناحية وأثخن فيها، وفتح الحصون، وخرّب الدّيار، وقتل عدداً كثيراً، وجاء إلىٰ وادي الحجارة فأمر بإحضار المرأة وجميع من أُسِرَ له أحد في تلك البلاد، فأحضر، فأمر بضرب رقاب الأسرىٰ بحضرتها، وقال للعباس: سلها، هل أغاثها الحكم؟

فقالت المرأة – وكانت نبيلة – : والله لقد شفىٰ الصدور، وأنكىٰ العدو، وأغاث الملهوف، فأغاثه الله! وأعزّ نصره!.

فارتاح لقولها، وبدا السرور في وجهه، وقال:

ألَمْ ترَ يا عبّاس أني أجبتها

علىٰ البعد أقتاد الخميس المظفرا

فـأدركت أوطاراً وبردت غلة

ونفست مكروبًا وأغنيت معسراً

فقال عباس: نعم، جزاك الله خيراً عن المسلمين.

وذكر ابن كثير في «البداية والنهاية»: أنه في سنة (٥٦٤هـ) طغت الفرنج بالديار المصرية، وتحكّموا في أموالها أفواجًا أفواجًا، وجعلوا الوزير شاور لهم بها، ولقد أمر النّاس أن يحرقوا مصر، وأن ينتقل منها إلىٰ القاهرة، فنهبوا البلد، وذهب للناس أموال كثيرة جداً، وبقيت النّار تعمل في مصر أربعة وخمسين يومًا، فعند ذلك أراد العاضد (الخليفة الفاطمي الشيعي) أن يستنجد بأهل السُّنّة، ولكن كيف يفعل ذلك، وهو الّذي أنزل علىٰ السُّنَّة في مصر صنوف العذاب، لم يجد إلاّ أن يُحرك الحمية والغيرة علىٰ نساء المسلمين في نفوس أهل السُّنَّة، فماذا

فعل؟ أرسل العاضد إلىٰ نور الدين محمود رسالة استنجاد أرفقها بأبلغ نداء، وأرفقها بخصلة من شعور نسائه، واستغاثه قائلاً:

استنقذ نسائي من أيد الفرنج.

وكان أن بلغ التأثير مداه في قلب نور الدين، فسرت حميا الغيرة والنخوة في جند الشّام وأهله، فبذلوا لإنقاذ مصر من الصليبيين بقيادة أسد الدّين شيركوه، وصلاح الدين الأيوبيّ.

وذكر العلاّمة محمود شاكر في تاريخه أنّ الإيطاليين عندما احتلوا ليبيا عملوا فيها أعمالاً وحشية من قتل الرجال صبراً أمام ذويهم، وانْتُهِكَت حُرُمات المساجد، ودِيست المصاحف بالأقدام أما عن صنيعهم مع المسلمات، فحدّث ولا حرج، سُبيت العذارىٰ، وصُلِبَ أكثرهنّ وهُنّ عاريات.

بنات المسلمين هنا سبايا

وشمس المكرمات هنا تغيب

تبيت كريمة ليلىٰ وتصحو

وقد ألغىٰ كرامتها الغريب

تُخبّئ وجهها يا ليت شعري

بماذا ينطق الوجه الكئيب

هنا انتفض عمر المختار؛ ليخلّص هؤلاء النّسوة، ودخل في جهاد مستميت مع الجنود الإيطاليين، واستمرّ في جهاده نحو عشرين عامًا ثُمَّ أسروه وأعدموه أمام شعبه فرحمه الله وأسكنه فسيح جناته.

obeikandl.com

فصل

في بيان أنّ الغيرة من الصفات التي تفتش عنها المرأة في زوجها

الغيرة من الصفات الّتي تُزيد الرجل كمالاً وبهاءً في عين المرأة؛ لأنّها من كمال الرجولة والفحولة؛ ولذلك فالمرأة العاقلة سليمة الفطرة تُفتّش عن هذه الصفة في زوجها، وتُحبُّ أن تراها فيه، فإن لم تجدها أو وجدتها ناقصة سقط من عينها، ولا ترفع له شأنًا ولا تعرف له قدرًا، ولنذكر في ذلك خبرًا من أخبار الجاهليين الّذين سلمت فطرتهم.

فلقد ذكرأبو علي القالي في كتابه «الأمالي» أنَّ عتبة بن ربيعة قال لابنته هند قبل زواجها من أبي سفيان بن حرب وهو يصف لها رجلان أرادا

خطبتها، وقد اشترطت هند عليه قبل ذلك ألاَّ يزوجها رجلاً حتَّىٰ يعرضه عليها، فقال في وصف الثَّاني كالمادح له: وأمّا الآخر ففي الحسب الحسيب، والرأي الأريب، بَدْر أروميَّة، وعز عشيرته، يؤدب أهله ولا يؤدبونه، إن اتّبعوه أسهل بهم، وإن جانبوه توعّر عليهم، شديد الغيرة، سريع الطيرة... إلخ.

وقد وصف الأول بصفات حسنة أيضًا لم أذكرها إيثارًا لعدم الإطالة.

فرفضت الأوّل، ثمّ قالت: وأمّا الآخر فبعل الحرة الكريمة، إني لأخلاق هذا لوامقة، وإني له لموافقة، وإني لآخذة بأدب البعل مع لزوم قبتي، وقلّة تلفّتي، وإن السّليل بيني وبينه لحري أن يكون المدافع عن حريم عشيرته.. إلخ، فقال: ذاك أبو سفيان (١).

---

(١) نقلاً عن كتاب «الأمالي» لأبي علي القالي، بتصرف.

الحال المزرية في أزمنة الغربة الثانية

أمّا في هذه الأزمنة – أزمنة الغربة الثانية – تبدّلت المفاهيم، وانتشرت الرذائل، وماتت النخوة والغيرة عند كثير من المسلمين، وسبب ذلك هو موجة التغريب العارمة الّتي أغرقت بلاد المسلمين، والّتي روّج لها أُناس من جلدتنا، ويتكلمون بلساننا، ولقد صدق فيهم قول الشيخ محمد الغزالي: إنّ هناك أشخاصًا يمشون في سراديب الحضارة المعاصرة، كما تمشي الكلاب والفئران، لا تعرف إلاّ الفضلات والفضول، سمعت أحدهم يصيح: نحن بحاجة إلىٰ نهضة مسرحية، وآخر يقول: يجب اعتناق المادية الجدلية. وآخر يقول: نشطوا الألعاب الرياضية، وسمعت دابة تشتغل – للأسف – بالسياسة العامة،

تقول: لنترك ماضينا كله. نتركه ونتبع ماذا أيها الحيوان الأنيق؟!.

فهؤلاء يمكرون الليل والنهار؛ ليظهروا الغرب علىٰ أنهم أهل المدنية والحضارة، فأدَّىٰ ذلك إلىٰ اتّباعهم وتقليدهم، كما قال النَّبيُّ ﷺ: «لتتَّبِعُنَّ سنن من كان قبلكم شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، حتَّىٰ لو دخلوا جحر ضبّ تبعتموهم» قلنا: يا رسول الله، اليهود والنصارىٰ؟ قال: «فمن؟»(١).

فترىٰ الرجل يترك زوجته تخرج متبرجة علىٰ أقبح ما يكون، ترتدي ثيابًا ضيقة تحجم عورتها، شفافة تُظهر جسدها، فتُصبح كأنها عارية؛ مصداقًا لقول النَّبيّ ﷺ: «صنفان من أهل النّار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر، ونساء كاسيات عاريات

---

(١) متفق عليه.

مائلات مميلات، رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإنّ ريحها يوجد من مسيرة كذا وكذا»[١].

وأسفاه لقد ماتت الغيرة، وماتت الرجولة، وتحلل المسلمون من أخلاقهم الحميدة حتّىٰ حق لنا أن نقول: يحكىٰ أنه في سالف الزمان كان هناك من الناس فئام، اعتنقوا شيئًا اسمه الإسلام، وكانوا يعيشون علىٰ عفة ودين وطهارة وسلوك قويم.

لقد صارت الدّياثة وبلادة المشاعر سجية لدىٰ القوم، والحمية والغيرة رجعية وعيبٌ مشين ينبغي أن يُستأصل من جذوره.

وإنّ مظاهر التفريط في الغيرة كثيرة جداً في هذا الزمان، ولكن قبل أن نذكرها نذكر فصلاً في غيرة الحيوانات لنعلم قدر ما نحن فيه من البلاء.

---

(١) رواه مسلم عن أبي هريرة رقم (١٢٥).